

منهج الإدريسي من خلال كتابه

”نزهة المشتاق في اختراق الآفاق“

The method Al-Idrisi through his book(Nuzhat Al-Mushtaq)

د. غسان محمود وشاح^{*1}

¹ الجامعة الإسلامية بغزة (فلسطين)، gwshah@iugaza.edu.ps

تاريخ الاستلام : 2020/04/28 ؛ تاريخ القبول : 2020/10/13 ؛ تاريخ النشر : 2021/01/13

Abstract

Al-Idrisi is considered one of the greatest scholars of Islam. He excelled in several sciences in which a number of books were prepared, and Al-Idrisi's journey is one of the most important geographical and historical works. The world was divided into seven regions and he described these regions accurately. Scientifically accurate in preparing the book, such as referring to the sources, watching, direct, and hearing from others.

Key words: Nuzhat Al-Mushtaq - Al Idrisi - Rogar - Territories.

المخلص

تناول هذا البحث عدد من النقاط الرئيسة مثل التعريف بالإدريس وتعريف بكتابه نزهة المشتاق ومنهج الإدريسي حيث استخدم منهجاً علمياً دقيقاً في إعداد الكتاب مثل الرجوع للمصادر والملاحظة والمباشرة والسماع من الآخرين وتناول تقسيمات الإدريسي للعالم لعدد من الأقاليم وصفات ومميزات كل إقليم وأهمية خرائط الإدريسي للعلم الحديث

الكلمات المفتاحية: نزهة المشتاق، الإدريسي ، روجار، الأقاليم

المقدمة

يعد الإدريسي من أعظم علماء الإسلام فقد برع في عدة علوم أعد فيها عدد من المؤلفات وتعد رحلة الإدريسي من أهم المؤلفات الجغرافية والتاريخية فقد قسم العالم فيها إلى سبعة أقاليم ووصف هذه الأقاليم بصورة دقيقة حيث قدم كثير من المعلومات لم يسبقه لها أحد ، والجدير أنه استخدم منهجاً علمياً دقيقاً في إعداد الكتاب مثل الرجوع للمصادر والمشاهدة والمباشرة والسماع من الآخرين.

أهمية الدراسة

- 1- قلة الدراسات التاريخية العلمية الجادة التي تناولت الموضوع على الرغم من أهميته
- 2- تسليط الضوء على منهج الإدريسي في إعداد كتاب نزهة المشتاق.
- 3- قياس مستوى التزام الإدريسي بالمنهج العلمي في إعداد كتابه.
- 4- إبراز تقسيمات الإدريسي للأرض إلى عدة أقاليم.

منهج الدراسة: استخدم الباحث المنهج التاريخي التحليلي

تقسيمات الدراسة: قسمت الدراسة إلى مقدمة وعدد من النقاط الرئيسية ثم خاتمة احتوت على أهم نتائج الدراسة

أولاً: تعريف بالإدريسي:

ولد " محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس بن يحيى بن علي بن حمود ابن ميمون بن أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ت. هـ 571/2) ، المعروف بالشريف الإدريسي ، والحمودي ، والصقلي ، والقرطبي في مدينة سبتة (نخبة من الاساتذة، 1998) في المغرب

(493هـ/1100م)، ومنها كان منطلقه إلى بلدان المغرب، حيث نشأته الأولى بها بحثاً عن العلم والمعرفة هناك، تماماً كما كانت قرطبة- فيما بعد- نقطة انطلاق لجولات كثيرة في الأندلس إلى أن قدر له الارتحال إلى المشرق العربي لزيارة مصر وغيرها، ثم العودة منها إلى سبتة، حيث استقدمه رجار الثاني - ملك صقلية(الاصطخري،2004) - إليها سنة (533هـ/1138م)، ليستقر بها، مقرباً من بلاط الملك، الذي أكرم نزله، وبالع في تعظيمه.(الاصطخري،2004)

أ- مصنفاته:

ويبدو أن الإدريسي لم يكن جغرافياً-خرائطي فقط- وإنما كان مع ذلك عالماً متعدد المعارف والمهارات، تذكر له مشاركة في كثير من فروع العلم الأخرى، كالطب والصيدلة، والنباتات، كما كان أديباً وشاعراً، وترك في كل علم مؤلفات متعددة منها:

1- الجامع لأشتات النبات، ويعرف كذلك باسمي: "المفردات"، "والأدوية المفردة"، وهو مؤلف دال على علم واسع بالنباتات والأعشاب والأدوية، امتاز بالدقة في رسم أسماء العقار ووصف خصائصه.(الاصطخري،2004)

2- روض الأنس ونزهة النفس، أو المسالك والممالك.(ت.هوتسما وآخرون،571/2)

3- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، وهو هذا، والذي أشار في فاتحته إلى أنه فرغ من تأليفه- بعد خمسة عشر عاماً- في شوال سنة ثمان وأربعين وخمسمائة للهجرة (يناير 1154 م).(نخبة من الاساتذة،1998)

نشأ محمد هذا في أصحاب رجال الفرنجي صاحب صقلية وكان أديباً ظريفاً شاعراً مغري بعلم جغرافيا، صنف لرجار الكتاب المذكور وفي ترجمة رجال في حرف الراء شيء من ذكر هذا الكتاب وسبب تصنيفه، ومن شعر محمد هذا:

دعني أجل ما بدت لي ... سفينة أو مطية

لا بد يقطع سيرى ... أمنية أو منية

ومنه:

ليت شعري أين قبري ... ضاع في الغربة عمري

لم أدع للعين ما تش ... تاق في بر وبحر

وخبرت الناس والأر ... ض لدى خير وشر

لم أجد جاراً ولا دا ... رأكما في طي صدري

فكأنني لم أسر ... إلا بميت أو بقفر

ومنه:

إن عيباً على المشارق إن أر ... جع عنها إلى ذيول المغارب

وعجيب يضيع فيها غريب ... بعد ما جاء فكره بالغرائب

ويقاسي الظما خلال أناس ... قسموا بينهم هدايا السحاب

ومنه:

ومن قبل أن أمشي على قدم المسنى ... سعى قلبي في المدح سعيّاً على الرأس

ومنه:

وليل كصدر أخي غمة ... قطعناه حتى بلغنا النجاح

وبدر السماء بدا في النجوم ... كما لاح في الناس بدر السماح. (ليدن، 1938)

ثانياً: تعريف بكتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"

رسم "الإدريسي" خريطة كروية شاملة للعالم - معتمداً فيها على خريطة

بطلميوس (ابن حوقل)، بعد تصحيحها - مقسماً محيط الكرة الأرضية طولا إلى عشرة أجزاء

متساوية، بخطوط تبدأ من قطب الكرة الأعلى، وتنتهي عند قطبها الأسفل، جاعلاً الخط الرئيس فيها هو الخط المار بالجزائر الخالدات في المحيط الأطلسي، ثم عمد إلى تقسيمها إلى سبعة أحزمة عرضية فوق خط الاستواء، حيث تنقسم في داخلها إلى تسعين قسماً أو درجة، منحصرة فيما بين خط الاستواء والقطب الشمالي، وبذلك انقسمت خريطته إلى سبعين جزءاً، نقلها إلى مستطيلات، عمد إلى شرحها والتعريف بها طبيعياً وبشياً في "النزهة"، مقسماً كتابه إلى مقدمة مقتضبة، أتبع بسبعة أبواب، ضمت في داخلها سبعين فصلاً. (ليدن، 1938)

أ- مقدمة الكتاب فقد اشتملت على:

1- ذكر هيئة الأرض، وقسمتها بأقاليمها، وذكر البحار بمبادئها وانتهائها وأحوازها، وما يلي سواحلها من البلاد والأمم، وقد انبنت - في معظمها - على مفهومات علمية صحيحة عن كروية الأرض "والأرض في ذاتها مستديرة، لكنها غير صادقة الاستدارة"، وخط الاستواء "والأرض مقسومة بقسمين، بينهما خط الاستواء" (الصفدي، ب.س)

2- دافعه إلى تأليف كتابه هذا، وهو رغبة رجار الثاني - ملك صقلية - في الوقوف على حقيقة العالم، بكتاب مطابق للخريطة الكروية المصورة له، غير أنه يزيد عليها بوصف أحوال البلاد والأرضين في خلقها وبقاعها، وأماكنها، وصورها، وبحارها، وجبالها، ومسافاتها، ومزروعاتها، وغلاتها، وأجناس بنائها، وخواصها، والاستعمالات التي تستعمل بها، والصناعات التي تنفق بها، والتجارات التي تجلب إليها وتحمل منها، والعجائب التي تذكر عنها وتنسب إليها، وحيث هي من الأقاليم السبعة، مع ذكر أحوال أهلها وهيئاتهم وخلقهم ومذاهبهم وزيهم وملابسهم ولغاتهم. (الجوزي، ب.س)

لقد بين الإدريسي دور "رجار" الذي ساندته في أعداد هذه الدراسة في مقدمة كتابه قائلا: "الملك المعظم رجار المعتر بالله المقتدر بقدرته ملك صقلية وإيطالية وانكردة وقلورية (معز) إمام رومية الناصر للملة النصرانية إذ هو خير من ملك الروم بسطاً وقبضاً وصرف الأمور على إرادته إبراما ونقضا ودان في ملته بدين العدل واشتمل عليهم بكنف التطول والفضل وقام بأسباب مملكته أحسن قيام وأجرى سنن دولته على أفضل نظام وأجمل التيام وافتتح البلاد شرقا وغربا وأذل رقاب الجبابرة من أهل ملته بعدا وقربا بما يحويه من جيوش متوفرة العدد والعدد ... فكم مراتب فخر شيد أركانها وكم مزايا هم أطلع أقمارها ونور أقطارها وصير حدائقها روضا زهيا وغرسا زكيا ثم جمع إلى كرم الأخلاق طيب الأعراق وإلى جميل الأفعال. (عطا، 1992)

قال اسحق المنجم: " ما وقع في كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق الذي ألفه العلوي الأندلسي المحمودي لملك صقلية من الفرنج وهو رجار [Roger] عندما كان نازلا عليه بصقلية بعد خروج صقلية من إمارة مالقة، وكان تأليفه للكتاب في منتصف المائة السادسة، وجمع له كتباً جمّة للمسعودي وابن خرداذبة والحوقلي والقردي وابن إسحاق المنجم وبطليموس" (الإدريسي، 1409)، وكان فيه محبة لأهل العلوم الفلسفية، وهو الذي استقدم الشريف الإدريسي صاحب كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق من العدو إليه ليضع له شيئاً في شكل صورة العالم، فلما وصل إليه أكرم نزله وبالغ في تعظيمه، فطلب منه شيئاً من المعادن ليضع منه ما يريد، فحمل إليه من الفضة الحجر وزن أربع مائة ألف درهم، فصنع منها دوائر كهيئة الأفلاك وركب بعضاً على بعض، ثم شكلها له على الوضع المخصوص فأعجب بها رجار. ودخل في ذلك ثلث الفضة وأرجح بقليل وفضل له ما يقارب الثلثين

فتركه له إجازة وأضاف لذلك مائة ألف درهم ومركباً موسقاً كان قد جاء إليه من برشلونة بأنواع الأجلاب الرومية التي تجلب للملوك. (الادريسي، 1409)

3- تنظيم الكتاب إلى أبواب سبعة، ينقسم كل منها في داخله إلى أجزاء عشرة.
4- التنبيه على احتواء الكتاب على اثنتين وسبعين خريطة توضيحية- خلت هذه الطبعة منها- "... ورسمنا في كل واحد من هذه الأجزاء ما له من المدن والأكوار والعمارات، ليرى الناظر في ذلك ما خفي عن عيانه أو لم يبلغه علمه، أو لم يمكنه الوصول إليه لتعذر الطرقات واختلاف الأمم، فيصبح له الخبر بالعيان، ومبلغ أعداد هذه المصورات الآتية بعد هذا سبعون مصورة" وأما الأبواب السبعة المتتالية، فقد خصص كل باب منها للتعريف بإقليم من هذه الأقاليم. داخلها على عشرة أجزاء، يسير في وصفها من الغرب إلى الشرق، ابتداءً بالحيط الأعظم الأطلسي عند الجزائر الخالدات، وانتهاءً ببحر الصين، معتمداً في هذه الطريقة الوصفية على المدن كنقط ارتكاز للوصف، وكأنه يسير في رحلة في نواحي الجزء الذي يصفه. (الحميري، ب.س)

5- يقول الحميري: "نزهة المشتاق" يوجز حتى في وصف البلدان، ويكثر القول في ذكر المسافات، ولا يهتم كثيراً بالأحداث التاريخية، وليس فيه إيراد لما يستملح أو يستغرب إلا في مواطن قليلة" (الروض المعطار، 1980)

6-6- لقد أمكن لكراتشكوفسكي أن يقول في تاريخ الأدب الجغرافي العربي متحدثاً عن الحميري ومصادره واقتباساته من الادريسي: «إنها ظاهرة هامة لأننا نجد أنفسنا أمام نص جديد للإدريسي يمكن أن تكون له قيمة كبرى في تحقيق نص نزهة المشتاق وأعداده للنشر. (أكام المرجان، 1408)

ب - منهج الادريسي:

يتبين في مقدمة الكتاب أنه سلك عدة أساليب في الحصول على المعلومات وجمع المادة العلمية لخرائطه ويمكن تقسيمها إلى أربعة أنواع:

1- القراءة في الدراسات السابقة لموضوعه:

يتضح أن الإدريسي كان مهتماً في بكتابات الجغرافيين السابقين له، والأوائل في هذا العلم، وهذا ما يدل على أن المعرفة تراكمية، فقد استفاد من اليونانيين، والرومان، والعرب، ومن بعض المسلمين، وأهم من أخذ عنه العالم اليوناني " بطليموس" (الروض المعطار، 1980)، فعلى سبيل المثال: فقد استفاد الإدريسي في وصف العالم في كتابه من طريقة بطليموس في تقسيم الأرض إلى سبعة أقاليم، أي أحزمة عريضة، فوق خطوط الاستواء، غير أن الإدريسي أضاف إلى ذلك بأن قام بتقسيم كل إقليم إلى عشرة أجزاء رئيسية ابتداء من الشرق إلى الغرب، وكل قسم من هذه الأقسام ربطه في خارطة في كتابه كالآتي:

الإقليم الأول يتكون من (85) ورقة من الكتاب، من عشرة أجزاء من صفحة (1-100). من درجة (0) إلى درجة (23).

سأذكر فقط عن الإقليم الأول والأخير حيث يقول ابن خلدون عن كتاب "نزهة المشتاق": "الإقليم الأول وفيه من جهة غربيه الجزائر الخالدات التي منها بدأ بطليموس يأخذ أطوال البلاد وليست في بسيط الإقليم، وإنما هي في البحر المحيط، جزر متكررة أكبرها وأشهرها ثلاثة، ويقال إنها معمورة. وقد بلغنا أن سفائن من الإفرنج مرت بها في أواسط هذه المائة وقاتلوهم فغنموا منهم وسبوا وباعوا بعض أسرارهم بسواحل المغرب الأقصى، وصاروا إلى خدمة السلطان. فلما تعلموا اللسان العربي أخبروا عن حال جزائرهم،

وإنهم يحتفرون الأرض للزراعة بالقرون وأن الحديد مفقود بأرضهم، وعيشهم من الشعير، وماشيتهم المعز" (البكري.ي.س)

الاقليم الثاني يتكون من (112) ورقة، يتكون من عشرة أجزاء من صفحة (101-213).

من درجة (24) الى درجة(29).

الاقليم الثالث يتكون من (306) ورقة، يتكون من عشرة أجزاء، من صفحة(215-521).

من درجة(30) الى درجة(35).

الاقليم الرابع يتكون من (198) ورقة، من عشرة أجزاء، ابتداء من صفحة (523-721).

من درجة(36) إلى درجة(41).

الاقليم الخامس يتكون من (128) ورقة، من عشرة أجزاء ابتداء من صفحة (723-851).

من درجة(41) إلى درجة (47).

الاقليم السادس يتكون من (104) ورقة، من عشرة أجزاء ابتداء من صفحة (835-939).

من درجة (48) الى درجة(53).

الاقليم السابع يتكون من (22) ورقة، من عشرة أجزاء ابتداء من صفحة (963-941).

من درجة (54) إلى درجة (59). (1992)

ابتدأ رحلته من أقصى الغرب حتى أقصى الشرق قائلاً: "إن هذا الإقليم الأول مبدؤه من جهة المغرب من البحر الغربي المسمى ببحر الظلمات وهو البحر الذي لا يعلم ما خلفه وفيه هناك جزيرتان تسميان بالخالدات ومن هذه الجزائر بدأ بطلميوس يأخذ الطول والعرض وهاتان الجزيرتان فيما يذكر في كل واحدة منهما" (الهمداني، 6/1) حتى انتهى في الجزء العاشر من الإقليم السابع قائلاً: "إن هذا الجزء العاشر من الإقليم السابع كله مظلم لا عمارة فيه البتة ولا يعلم ما خلفه فهذا جميع ما اتصل إلينا من أوصاف الأرضين من معمور وغير معمور فتبارك الله رب العالمين وهو على كل شيء قدير والله تعالى حسبنا ونعم الوكيل، وهنا انقضى الكتاب المعروف بنزهة المشتاق في اختراق الآفاق والحمد لله رب العالمين". (ليدن، 1884)

ج- مصادره في اعداد الكتاب: كان الادريسي واضحاً وصادقاً في نقله عن مصادره ففي مقدمة كتابه "نزهة المشتاق" ذكر تلك المصادر التي نقل عنها ما بين عرب وغير عرب. وأوضح أن مصادره من كتاب "العجائب" للمسعودي، وكتاب أبي نصر، سعيد الجيهاني، وكتاب أبي القاسم عبيد الله بن خرداذبة، وكتاب أحمد بن عمر العذري، وكتاب أبي القاسم محمد الحوقلي البغدادي، وكتاب خاناخ بن خاقان الكيمائي، وكتاب موسى بن قاسم القردي، وكتاب أحمد بن يعقوب المعروف باليعقوبي، وكتاب إسحاق بن الحسن المنجم، وكتاب قدامة البصري، وكتاب بطلميوس الأقلودي، وكتاب أرسئوس الأنطاكي، فلم يجد ذلك فيها مشروحا مستوعبا مفصلا، بل وجده فيها مغفلا، فأحضر لديه العارفين بهذا الشأن، فباحثهم عليه، وأخذ معهم فيه. (ابن خلدون، 12/1)

2- المشاهدة الشخصية:

وفي رحلة الادريسي التي تبين فيها زيارته للأندلس، وشمال إفريقيا، ومصر، وبلاد الشام، وكذلك آسيا الصغرى والشرق، وأجزاء من أوروبا الغربية، وخاصة سواحل إنجلترا، وفرنسا، وإيطاليا، وصقلية، ومن خلال حديثه عن المناطق التي زارها فإنه يتحدث عنها بنوع من التفصيل والتوسع مما يعطي للقارئ أنه زار هذه المناطق فعلاً، وخاصة عندما يستخدم عبارات " وقد شاهدت " ، "وقد رأيته عياناً"، ويبرز هذا عندما يعطي تفاصيل عن الأندلس، وصقلية، وذلك لطول المدة التي قضاها هناك.

فمن الأمثلة على أقواله المفصلة: " فنقول إن المد والجزر الذي رأيته عياناً في بحر الظلمات وهو البحر المحيط بغربي الأندلس وبلاد برطانيه فإن المد يبتدئ فيه في الساعة الثالثة من النهار إلى أول الساعة التاسعة ثم تأخذ في الجزر ست ساعات مع آخر النهار ثم يمد ست ساعات ثم يجزر ست ساعات هكذا يمد في اليوم مرة وفي الليل مرة ويجزر في اليوم مرة وفي الليل مرة أخرى وعلة ذلك أن الريح تهيج هذا البحر في أول الساعة الثالثة".

وقوله: " هكذا من أول الربيع إلى آخر الخريف وهذا الحيوان يكون بالغرب الأقصى كثير في بلاد الملثمين وهو مشهور قد رأيته عياناً".

وتحدثه قائلاً: " فإذا كان زمن الشتاء قصد إلى هذا الحصن أهل تلك البلاد فيخدمون المعدن الذي به إلى انقضاء الشتاء وهو من عجائب الأرض وقد رأيته عياناً".

ومن خلال كتابات الادريسي تبين أنه زار فلسطين وبلاد الشام ومدينتي دمشق وحمص، وما ذكره عن فلسطين تاريخ وجغرافيا، حيث قال: " البرابر وكانت ديار البرابر فلسطين وكان ملكهم جالوت بن ضريس بن جانا وهو أبو زناتة المغرب وجانا هو ابن لواء بن برّ بن قيس بن الياس بن مضر فلما قتل داود عليه السلام جالوت البربري رحلت البربر إلى المغرب "

وفي حديثه عن الموقع الجغرافي لفلسطين قال: "وأرض فلسطين والشام وأسفل أرض الحجاز مع قطعة من غربي البادية وفيها من البلاد المشهورة القلزم وفاران والأيلة ومدين وخير ووادي القرى والحجر وتبوك ودوما ومعدن النقرة والعادي والسيالة وراهط ثم الفرما وعسقلان وغزة والرملة وبيت المقدس وطبرية ونابلس ودمشق وبلبك وحمص ويافا وقيسارية وأرسوف وعكة وصور ويبروت والناعمة وجبيل واطرابلس وانطرطوس وبيسان وجبله واللاذقية والسويدة وأنطاكية ونحن ذاكرون لما في كل واحدة منها من المباني والعجائب والطرق والمصنوعات وما يجلب إليها وما يخرج عنها وما بينها من الأميال والفراسخ وأمكنتها على التقصي بحول الله".

وفي موضع آخر قال: "وأما حدود فلسطين وهي أول أحواز الشام وحدودها مما يلي المغرب مقدار أربعة أيام وذلك من رفح إلى اللجون وعرضه من يافا إلى ربحا مسيرة يومين وزغر وديار قوم لوط والبحيرة المنتنة وجبال الشراة مضمومة إليها وهي منها في العمل إلى حدود أيلة".

وحديثه بالتفصيل عن بعض مدن فلسطين وما يدل على وصوله إليها قائلاً: "وأما مدينة بيسان فصغيرة جداً وبها نخل كثير، وينبت بها السامان الذي يعمل منه الحصر السامانية، ولا يوجد نباته البتة إلا بها وليس في سائر الشام شيء منه، وفلسطين ماؤها من الأمطار والسيول وأشجارها قليلة وديار فلسطين حسنة البقاع بل أزكى بلاد الشام ومدينتا الشام هما الرملة ثم بيت المقدس، فأما الرملة فهي مدينة حسنة عامرة وبها أسواق وتجاراات ودخل وخرج ومنها إلى يافا التي على ساحل البحر الملح نصف يوم".

مما سبق يتضح أن الادريسي قد تحقق من جزء كبير من المعلومات التي بنى عليها محتوى مؤلفه من خلال المشاهدة المباشرة، ومن المعروف أن هذه المعاينة المباشرة، والملاحظة

الشخصية تعد من أقوى المصادر للأبحاث، ومنها البحث الجغرافي الطبيعي والبشري، وتحديد المعالم والحياة البشرية.

3- المقابلة:

وتعد المقابلة مصدراً مهماً من مصادر البحث، ولقد تبين أن الادريسي كان حريصاً على مقابلة بعض التجار والرحالة وخصاصة من البحارة على سواحل صقلية التي أقام فيها وسماعه منهم بشكل مباشر زيادة في التأكيد على سلامة المعلومات.

في مقدمة كتابه أثبت أن المقابلة المباشرة كانت مصدراً من مصادره حيث قال: " فلم يجد ذلك فيها مشروحا مستوعبا مفصلاً بل وجده فيها مغفلاً فأحضر لديه العارفين بهذا الشأن فباحثهم عليه وأخذ معهم فيه فلم يجد عندهم علماً أكثر مما في الكتب المذكورة فلما رآهم على مثل هذه الحال بعث إلى سائر بلادهم فأحضر العارفين بها المتجولين فيها فسألهم عنها بواسطة جمعا وأفراداً فما اتفق فيه قولهم وصح في جمعه نقلهم أثبتهم وأبقاه وما اختلفوا فيه أرجاه وألغاه وأقام على ذلك نحواً من خمس عشرة سنة لا يخلي نفسه في كل وقت من النظر في هذا الفن والكشف عنه والبحث عن حقيقته إلى أن تم له فيه ما يريد".

وقوله: " وذلك أن هذا المعدن يخدمه أزيد من ألف رجل يقوم للنزول فيه وقطع الحجر وقوم لنقل الحطب لحرق المعدن وقوم لعمل أواني سبك الزبيق وتصعيده وقوم لشان الأفران والحرق قال المؤلف وقد رأيت هذا المعدن فأخبرت أن من وجه الأرض إلى أسفله أكثر من مائتي قامة وخمسين"

وكان الادريسي يعتمد على الثقافات في الحصول على بعض المعلومات كما في المثال التالي حينما قال: " قرية قمولة خمسة أميال وهي كالمدينة جامعة متحضرة مكتنفة لكل نعمة وفضيلة وأخبر بعض الثقافات في هذا العصر فقال رأيت بها أنواعاً من الفواكه وضروباً من

الشم من جملتها عنب ما توهمت أن على الأرض مثله طيباً وحسناً وكبراً حتى إنه دعيتي نفسي إلى أن وزنت منه حبه فوجدت في زنتها اثني عشر درهماً وفي هذه القرية"

وتبينت المشاهدة المباشرة في هذا المثال قائلاً: "وهم أهل الأندلس في أصحاب الرقيم حين زعموا أن أصحاب الكهف هم الشهداء الذين هم في مدينة لوشة قال المؤلف رأيت القوم في هذا الكهف عام عشرة وخمس مائة فنزلنا إليهم على فم بئر عميقة نحو من قامة وزائد ثم مشينا فيه في سرب فيه ظلمة خطوات قلائل ثم اتسع الغار فألفينا هناك الموتى وهم رقاد على جنوبهم وعددهم سبعة وعند أرجلهم كلب ملتو وقد ذهب لحمه وجلده وبقيت عظامه في فقارته كما هي في الحياة ولا يعلم أحد في أي زمن دخلوا هذا الكهف".

4- الرحلات الاستكشافية:

وللتأكد من أن المسافات مطابقة للخريطة المرسومة فكان ضمن مصادر الادريسي هو البعثات الاستكشافية، فأولها رحلته الشخصية وثانيها مقابلته مع العارفين من العلماء والتجار والمتنقلين، وأخرها الرحلات الاستكشافية التي دعمها رجار بكل الوسائل المادية والمعنوية، وما فيها من صعوبات خصوصاً عندما يريد الحصول على معلومات من دول نصرانية وهو مسلم، فكان لرجار الفضل في تسهيل المهمة .

كما أسلفنا سابقاً: أن دافعه إلى تأليف كتابه هذا، وهو رغبة رجار الثاني - ملك صقلية- في الوقوف على حقيقة العالم، بكتاب مطابق للخريطة الكروية المصورة له، غير أنه يزيد عليها بوصف أحوال البلاد والأرضين في خلقها وبقاعها، وأماكنها، وصورها، وبحارها، وجبالها، ومسافاتها، ومزدرعاتها، وغلاتها، وأجناس بنائها.

وذلك لحب هذا الملك للعلم والاكتشافات والاختراعات، حيث أضاف الادريسي عنه في مقدمة الكتاب : " وأما معرفته بالعلوم الرياضية والعمليات فلا تدرك بعد ولا تحصر بحدّ لكونه قد أخذ في كل فن منها بالحظ الأوفى وضرب فيه بالقدح المغلي ولقد اخترع من المخترعات العجيبة وابتدع من الابتداعات الغريبة ما لم يسبقه أحد من الملوك.. أحب أن يعرف كيفيات بلاده حقيقة ويقتلها يقينا وخبرة ويعلم حدودها ومسالكها برا وبحرا وفي أي إقليم هي وما يحصها من البحار والخلجان الكائنة بها مع معرفة غيرها من البلاد والأقطار في الأقاليم السبعة التي اتفق عليها المتكلمون وأثبتها في الدفاتر الناقلون والمؤلفون".

5-أطلس الادريسي وخرائطه خرائط الادريسي على أرض الواقع:

ولا شك أن الخريطة المرسومة للعالم كانت هي العمل الرئيس في جغرافيا الادريسي، وخاصة في كتابه نزهة المشتاق وهي محصلة لكل الجهود الكشفية سواء الخاصة به أم التي أخذ عنها من الجماعات الكشفية التي كانت ترسل لجمع المعلومات.

فمجهوده الذي يمثل أول أطلس متكامل للعالم في عصره، والخرائط التي توصل اليها كانت نقطة تحول في تاريخ الخرائط، فكان هذ العمل العالمي الذي ربط بين المشرق والمغرب .

الاقليم الاول:

بحيث يمتد هذا القسم من الغرب الى الشرق ابتداء من المحيط الاطلسي أو البحر الغربي الى السودان والنوبة والحبشة واليمن والهند وينتهي في الشرق الى بلاد الصين.

الاقليم الثاني:

يتمتد أيضاً من العرب الى الشرق من المحيط الاطلسي، قاطعاً جزر الخالدات وكل أجزاء مصر وساحل بحر القلزم من وشبه جزيرة العرب والخليج العربي، ويتنقل شرقاً الى أجزاء من بلاد الهند الى أن ينتهي عند الشرق جنوب الاقليم الأول

الاقليم الثالث:

يبدأ من المحيط الاطلنطي ويشمل جزر سارة وخسران وبلهان ثم يتمتد الى تونس وليبيا والبحر المتوسط والاسكندرية وجزء من بحر القلزم "خليج السويس" وفلسطين والشام والجزء الشمالي من شبه الجزيرة العربية والبحرين وايران وتركستان وهضبة التبت الى الشرق من الصين.

الاقليم الرابع

يبدأ امتداده من المغرب الأقصى عند بداية البحر الأبيض شمالاً الى اسبانيا وجزر سردينيا وصقلية وكور سيكا ورودوس، ويمتد شرقاً الى سوري وأرمينيا وتركيا والعراق وأذربيجان.

الاقليم الخامس

ويبدأ من شمال أسبانيا ويمتد من الغرب الى الشرق ماراً بالبحر الادرياتي، ثم يتمتد الى بلاد الجرمان والقسطنطينية الى تركيا وهضبة أرمينيا وبعض أجزاء من أذربيجان، ثم هضبة التبت ثم الى شمال الصين.

الاقليم السادس

يبدأ من الغرب من الجزر البريطانية ويتد شرقاً متخللاً بلاد فرنسا، ثم ألمانيا وبلغاريا ، ثم روسيا ماراً ببحر الخرز (بحر قزوين) وأرض تركيا الى أن يصل إلى الصين، عند سد السور العظيم.

الاقليم السابع

ويبدأ هذا الاقليم من المحيط الاطلنطي غرباً، ويمتد شرقاً عبر الجزر المتناثرة في البحر وعبر نهر ألبه ويتصل ببلاد روسيا وهضبة التبت الى أن يصل شمال الصين حيث افترض أن لا حياة هناك.

النتائج:

- الإدريسي لم يكن جغرافياً-خرائطي فقط- وإنما كان مع ذلك عالماً متعدد المعارف والمهارات، تذكر له مشاركة في كثير من فروع العلم الأخرى، كالطب والصيدلة، والنباتات، كما كان أديباً وشاعراً، وترك في كل علم مؤلفات متعددة
- انقسمت خريطة الإدريسي إلى سبعين جزءاً، نقلها إلى مستطيلات، عمد إلى شرحها والتعريف بها طبعياً وبشرياً في "النزهة" ، مقسماً كتابه إلى مقدمة مقتضبة، أتبع بسبعة أبواب، ضمت في داخلها سبعين فصلاً.
- رسم "الإدريسي" خريطة كروية شاملة للعالم- معتمداً فيها على خريطة بطليموس بعد تصحيحها- مقسماً محيط الكرة الأرضية طولاً إلى عشرة أجزاء متساوية.

الإدريسي كان مهتماً في بكتابات الجغرافيين السابقين له، وهذا يدل على أن المعرفة تراكمية، فقد استفاد من اليونانيين، والرومان، والعرب، ومن بعض المسلمين، وأهم من أخذ عنهم العالم اليوناني " بطليموس".

✓ استخدم الإدريسي منهج الملاحظة والمعاينة المباشرة فمن خلال حديثه عن المناطق التي زارها يتحدث بنوع من التفصيل والتوسع ما يدل على أنه زار هذه المناطق فعلاً، وخاصة عندما يستخدم عبارات "وقد شاهدت"، "وقد رأيته عياناً".

✓ خريطة الإدريسي تمثل أول أطلس متكامل للعالم في عصره، والخرائط التي توصل إليها كانت نقطة تحول في تاريخ الخرائط.

الاحالات والمراجع:

- (1) كان من نسل النبي - صلى الله عليه وسلم - وتوفي عام (560 هـ / 1166 م)، (انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية مادة إدريس (571/2). تحرير: م. ت. هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان.
- (2) موجز دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة / نخبة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الطبعة: الأولى، 1418 هـ - 1998 م.
- (3) مدينة سبته المخاضية من الاندلس لمدينة جبل طارق وهي المعروفة بالجزيرة [الخضراء]، انظر: ابن حوقل، صورة الأرض (75/1). ابن حوقل، محمد بن حوقل البغدادي الموصل، أبو القاسم (ت: بعد 367 هـ).
- (4) صورة الأرض، دار صادر، أفست ليدن، بيروت، 1938 م.
- (5) قرطبة وهي من الاندلس في وسطها والذي يحيط بالاندلس البحر المحيط ثم يطوف بحر الروم بما إلى أرض إفريقية فيأخذ من مدينة شنترين إلى أخشنبة ثم إلى اشبيلية، انظر: الاصطخري، المسالك والممالك (ليدن، 41). الاصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، المعروف بالكرخي (ت: 346 هـ).
- (6) الاصطخري: المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، 2004 م.
- (7) صقلية وهي جزيرة على شكل مثلث متساوي الساقين زاويته الحادة من غربي الجزيرة، طولها سبعة أيام في أربعة أيام، وهي في شرقي الاندلس ف⁽¹⁾ كان من نسل النبي - صلى الله عليه وسلم - وتوفي عام (560 هـ / 1166 م)، (انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية مادة إدريس (571/2). تحرير: م. ت. هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان.
- (8) موجز دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة / نخبة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الطبعة: الأولى، 1418 هـ - 1998 م.
- (9) صورة الأرض، دار صادر، أفست ليدن، بيروت، 1938 م.

ي لبح البحر وتخليها من بلاد الغرب بلاد افريقية وباجة وطبرقه الى مرسى الخرز وغربيها في البحر جزيرة قرشقه، ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض (118/1).

(10) ابن حوقل ، محمد بن حوقل البغدادي الموصلبي ، أبو القاسم (ت : بعد 367هـ)

(11) صورة الأرض ، دار صادر ، أفست ليدن ، بيروت ، 1938م.

(12) الصفدي، الوافي بالوفيات (73/1). الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي (ت: 764 هـ).

(13) الوافي بالوفيات.

(14) وتوالت ملوك اليونان بعد الإسكندر، وكان يقال لكل واحد منهم بطلميوس، كما كانت الفرس يدعون

"أكاسرة"، ينظر: الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (4/2). الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597هـ)

(15) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1412 هـ - 1992م.

(16) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (المقدمة، 2). الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، المعروف بالشريف الإدريسي (ت: 560هـ).

(17) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، 1409هـ.

(18) في سنة أربعمئة وثلاث وخمسين استولى النصارى على "صقلية" وحكمها الطاغية "رجار الافرنجي" وأخذ يفتتحها قطراً قطراً، ويأخذها كفراً كفراً، واستولى عليها في ثلاثين عاماً، إلا أنه أقر الناس على ديانتهم وشرائعهم وأمنهم، فخلف ابنه رجار الثاني فحذا حذوه، وسار بسيرته ، ورضى

(19) له الناس بتسليم الأمور (الحميري، الروض المعطار (367/1)). الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري (ت: 900هـ).

(20) الروض المعطار في خبر الأقطار، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على مطابع دار السراج، الطبعة: الثانية، 1980م.

(21) آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان (7/1). آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، 1408هـ.

(22) الروض المعطار في خبر الأقطار (9/1).

(23) البكري، المسالك والممالك (31/1). البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت: 487هـ).

(24) المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، 1992 م

(25) وأما بطليموس وقدماء اليونانيين فإنهم رأوا ن طباع الأقاليم وجبلتها لا تكون إلا طرائق من المشرق إلى المغرب متجاوزة بعضها إلى بعض، من خط الاستواء إلى حيث يقع القطب الشمالي خمسين درجة، وهو ضِعْف المثل وزيادة جزئين وكسر، وقد حدّد في قانونه عرض كل إقليم منها وساعات نهاره الأطول على وسطه دون طرفيه، (الهمداني، صفة جزيرة العرب (6/1)). الهمداني، ابن الحائك، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الشهير بالهمداني (ت: 334هـ).

(26) صفة جزيرة العرب ، طبعة: مطبعة بريل - ليدن، 1884م.

(27) مقدمة ابن خلدون (12/1).

(28) راجع فهرس الكتاب.